

الثقافة السياسية

مفهوم الثقافة السياسية :

الثقافة هي النتاج التراكمي المنقول للسلوك السائد في المجتمعات. فالقيم السياسية والمعتقدات في أي مجتمع ما هي إلا تلك التي تهتم بالتنظيمات السياسية العامة ومكانة الفرد داخل العملية السياسية، فعلى المستوى العام فإن القيمة التي يضيفها الأعضاء على الوحدة السياسية الشاملة هذه تنعكس على البناء العقائدي الذي يأخذ في بعض الأحيان الشكل المترجح في اعتماده على وضع الوحدات داخل الهيكل العام، الأسرة، القبيلة، الأمة

فالقيم المعتمدة في المجتمع السياسي مرتبطة بقيم أخرى تتصل بالطريقة التي يتم بها التنظيم السياسي، ففي النظام الجماهيري لا يوجد نزاع حول قواعد الأداء السياسي فالمؤتمرات تقرر واللجان تنفذ، فالشعب كله يتحكم في قواعد اللعبة السياسية، أما في المجتمعات التقليدية الأخرى تبرز الصراعات بين اليمين واليسار والملكي والجمهوري، وهذا بدوره يدعو إلى الارتياح في النظام السياسي القائم. فقد تكون هذه الاختلافات والاتفاقات حول الأهداف والأدوات وكذلك من الممكن تضمين القيم من الاتجاهين ضمن وثيقة أساسية تسمى الدستور ولكن الدساتير دليل ضعيف لأنها جاءت كقوانين وضعية تنظر إلى الإنسان غير واحد وليس لها ما يبررها في تلك النظرة نشأة أدوات الحكم أو المجلس أو الطبقة أو الحزب للتحكم في الشعوب، وهذا ما يدل على أن الدستور مزاج أدوات الحكم وقائم لمصلحتها وليس بقانون طبيعي. فالثقافة السياسية بوجه عام باعتبارها تشكل منظمة لنفسها، هي الجوانب السياسية للثقافة، والهدف من ورائها فهم اتجاهات الدولة وسلوكها السياسي وبناء الشخصية المميزة للوطن والمواطن، وذلك من أجل الحفاظ على أمنها استقرارها، وذلك من آلية الحفاظ على نقل تراثها ومعتقداتها من جيل لآخر آخذة الاعتبار التفسيرات المختلفة لنسق المعتقدات.

- يعرفها لوسيان باي بأنها : " مجموع الاتجاهات والمعتقدات والعواطف التي تعطي شكلا ومعنى ونظاما للعملة السياسية وأنها مجموعة القواعد السياسية والاجتماعية الثابتة والمستقرة التي تحكم تصرفات أعضاء النظام السياسي".
- يعرفها سيدني فير با بأنه : " المعتقدات والموز التعبيرية والقيم التي تحدد الموقف الذي يحدث الفعل السياسي في إطاره".

والواقع أن مفهوم الثقافة السياسية كما طرحه غابرييل ألموند وسيدني فير با اللذان قاما بأول دراسة يعتد بها حول الثقافة السياسية عام 1965 كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمذهب السلوكي الذي كان سائدا آنذاك، والذي كان يركز بشكل خاص على اتجاهات ومواقف الأفراد السياسية. حيث يقولان : " الثقافة السياسية تدل بوجه خاص على التوجهات السياسية إزاء النظام السياسي وأجزئه المختلفة وتدل كذلك على الاتجاهات إزاء الدور الذي يقوم به الفرد في النظام السياسي غير أن النشاطات السياسية الفردية تنصب في التحليل الأخير في النظام السياسي. وعلى حد قول سيدني فير با: " وبهذا التطور يمكن أن تمثل الثقافة السياسية عنصر سيطرة وإشراف النظام السياسي، "فالدستور الجديد في مجتمع معين يأخذ شكلا مختلفا تماما عن الشكل الذي يتخذه في مجتمع آخر، وعلى نفس النحو إن الإيديولوجية تتأثر بمحيطها الثقافي الذي أدخلت فيه، والتاريخ مليء بالشواهد على دساتير لم تطبق كما أراد مشرعوها، وذلك ببساطة لأن تطبيقها اعترضه ثقافة سياسية خاصة. كما أن التاريخ يفيض أمثلة على تكييف إيديولوجيات وفقا لثقافات الأمم التي أدخلت فيها ومن ثم إذا كانت المدرسة السلوكية تفسر المظاهر السياسية في بعض الأقطار وعدم استقرار الحياة السياسية في أقطار أخرى وهذه الناحية هي التي دفعت بعض الباحثين إلى الربط ما بين الثقافة السياسية للأفراد والجماعات وبين مراحل نمو وتطور النظم السياسية وانتقالها من النظم السياسية التقليدية إلى النظم السياسية الحديثة.

وكما يلاحظ أن الثقافة السياسية تنطوي على مجموعة من القيم، والمعتقدات والعواطف السياسية المسيطرة في أمة وفي وقت معين، حيث أن التصورات تتبع منها، كما أنها تتحكم في الاتجاهات وتنظم صيغ الترام الأفراد، فهي إذا عنصر كبير في العمل السياسي إذ تنظم التبادل السياسي وتهيمن على نماذج المساهمة والاتصال في الحياة العامة، كما تعين أيضا واجبات الأشخاص الذين يمثلون الدولة، وبهذا فإن مفهوم السياسة يقوم بدور الوصل بين المستوى الخاص الذي هو مستوى الأفراد والجماعات وبين المستوى العام الذي هو مستوى النظام السياسي.

تعريف أخرى:

- تعريف إريك روم: "القيم والمعتقدات والاتجاهات العاطفية للأفراد تجاه ما هو كائن في العالم السياسي".

- يؤكد ميشيل كارتس على نسبية الثقافة السياسية لأي مجتمع لأنها تعرف ثباتا مطلقا ولكنها تتعرض للتغير حتى ولو كان بطيئا وقد يحدث هذا التغير نتيجة لما يلي:
 - أ- الجهود الحكومية المخططة التي تعمل على تلقين المواطنين قيما جديدة .
 - ب- المتغيرات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية التي يشهدها المجتمع.
- تعريف روبرت داوس وجون أ.هيوز: " إن الثقافة السياسية هي نتاج كل من النظام السياسي والأفراد الأعضاء في النظام، فهي مغروسة في الوقائع العامة، وفي التجربة الشخصية الخاصة"
- تعريف الموسوعات العلمية: "مجموعة المعارف والآراء والاتجاهات السائدة نحو شؤون السياسة والحكم ونظام الدولة بما تتضمنه من مفاهيم الولاء والانتماء والمشاركة"، ومن خلال هذه المنظومة يتشكل الوعي السياسي للفرد مؤطرا بمراجع المجتمع التي تؤسس لضوابط العلاقة المناسبة بين الحاكم والمحكوم في ضوء الظرف التاريخي والجغرافي وما يتوفر عليه أفراد المجتمع من إرث ثقافي- سياسي ومؤثرات خارجية مختلفة، وتعتبر الثقافة السياسية لمجتمع ما بمثابة التنظيم غير المقنن للتفاعلات السياسية، ومن هذا تأتي أهمية الثقافة السياسية في العملية السياسية باعتبارها تمثل منظومة القيم والأفكار والمعتقدات المرتبطة بظاهرة السلطة في المجتمع. وهي تتشكل عبر تفاعل الخبرة التاريخية والوضع الجغرافي والمعتقدات الدينية والظروف الاقتصادية والاجتماعية والرأي العام وتأثيراته.

كما يمكن تعريفها بأنها أحد فروع الثقافة تهتم بكل ما هو سياسي كالقيم السياسية والنظام السياسي والايولوجيا والانتخابات والديمقراطية وغيرها من مفردات السياسة فهي مجموع المعلومات والرموز والتراكمات الفكرية والنظريات وفروع العلم التي تبحث في شؤون السياسة.

ويمكن تلخيص تعريف الثقافة السياسية في أنها النموذج الشامل لاتجاهات والقيم والمواقف والعقائد التي يتبناها الأفراد، أعضاء مجتمع سياسي، وتشمل جوانب الثقافة السياسية التي تعد ذات أهمية خاصة، ما يأتي: عوامل التنشئة الاجتماعية السياسية وأساليبها والعلاقات بين القيم السياسية وإجراءات النظام السياسي والمواقف إزاء القيادة والسلطة، وبؤرة الهوية السياسية للأفراد والإقليم، والعرق والوضع الاجتماعي، وتتكون هذه الثقافات الفرعية من مواقف وقيم سياسية متميزة عن المواقف والقيم السياسية للثقافة السياسية العامة، الثقافات الفرعية القوية والواضحة جدا قد تضعف أو حتى تهدد بتدمير الدمج السياسي للمجتمع.

ويتم نقل الثقافة السياسية من جيل لآخر كما زعم علماء السياسة البرجوازيين أن النقل الثقافي يتم تحقيقه بثلاث طرق: الأول يقوم على دعم الثقافة السياسية القائمة والمحافظة عليها بحيث يؤدي هذا الأمر خاصة، إلى نقل النظريات السياسية والقواعد والقيم والاتجاهات... من الجيل الأكبر إلى الأصغر: ما الآباء إلى الأطفال ومن المعلمين على التلاميذ ومن المدرسين إلى الطلبة...، علما أن الجيل الأكبر يتابع مدى تطبيق هذه العملية ويمكن للنقل أن يسير بنظام آخر عندما يتعرض من الأجانب، وخاصة المهاجرون لعملية الصيرورة، ويبرز هنا لأطفال في كثير من الأحيان كعملاء لعملية الصيرورة هذه أنهم بالذات الذين يتعرفون بالدرجة الأولى في المدرسة بالقواعد والقيم السياسية المتبعة في البلد المعنى.

أسباب الإهتمام بالثقافة السياسية:

كان كثير من مواضيع الثقافة السياسية تدرس ضمن مواضيع أخرى، كالإيديولوجية السياسية والطابع الوطني، والروح الجماعية، وعلم النفس الجماعي وغيرها، إلا أن الانعطاف الحاسم في ظهور المفهوم، وبروز الدراسات العديدة الخاصة به، حدث بصورة واضحة في سنوات الستينات، وقد كانت دوافع الإهتمام بالثقافة السياسية عديدة ومتنوعة، أهمها:

- العنف السياسي الذي اجتاح كثيرا من أقطار العالم المتقدمة منها والنامية.
- مشاكل بناء الأمة وتحقيق الوحدة الوطنية في الأقطار التي استقلت حديثا.
- الأبحاث التي تقدم إمكانيات واسعة ومفيدة لفهم أثر الثقافة السياسية على السلوك السياسي.

ولقد أجاب "صموئيل هنتغتون" عن السؤال الأهم لذي شغل معظم الباحثين في العلوم الاجتماعية، وهو سبب التقدم في بعض البلاد ولماذا تتأخر بلدان أخرى؟ وقد أجاب عن هذا السؤال ببساطة قائلا: أنها القيم الثقافية، وهكذا اعتبر أن القيم الثقافية هي مقياس التقدم.

عناصر الثقافة السياسية ومقوماتها :

أولاً: العناصر

هي مجموعة العناصر أو المكونات للثقافة السياسية سواء ذلك التي تتبناها الدولة (ثقافة الحكام) أو الثقافة الرسمية وذلك السائدة لدى أفراد المجتمع (المحكومين) والتي تسمى الثقافة غير الرسمي.

ومن هذه المكونات:

- أ- المرجعية: وهي تعني الإطار الفكري الفلسفي المتكامل أو المرجع الأساسي للعمل السياسي فهو يفسر التاريخ ويحدد الأهداف والرؤى، ويبرر المواقف والممارسات ويكسب النظام الشرعية وغالباً ما يتحقق الاستقرار بإجماع أعضاء المجتمع على الرضا عن مرجعية دولية ووجود قنوات بأهميتها وتعبيرها عن أهدافهم وقيمهم وعندما يحدث اختلاف بين عناصر النظام حول المرجعية تحدث الانقسامات وتبدأ الأزمات التي تهدد شرعية النظام وبفائه واستقراره، ومن أمثلة المرجعيات الديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية... الخ، وأغلب الظن أنه لا يوجد أثر محسوس للاختلاف بين عناصر المجتمع الغربية إذ أن هناك اتفاقاً عاماً على الصيغ المناسبة لشكل النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي أما في الدول النامية فالمسألة متعلقة بشكل نظام الحكم وطبيعة النظم الاقتصادي وحدود العلاقة بين الدين والدولة لم تحسم بعد ولا تزال مثار خلاف وصراع .
- ب- التوجيه نحو العمل العام: هناك فرق بين التوجه الفردي الذي يميل إلى الإغلاء ومن شأن الفرد وتغليب مصلحته الشخصية وبين التوجه العام، أو الجماعي الذي يعني الإيمان بأهمية العمل التعاوني المشترك في المجالين الاجتماعي والسياسي والتوجه نحو العمل العام والإحساس بالتمثولية يدفع المواطن إلى الإيجابية في التعامل مع قضايا والموضوعات في ظل ثقافة متشابهة مؤداها (الإحساس بالولاء للجماعة).
- ت- التوجه نحو النظام السياسي: الاتجاه نحو النظام السياسي والإيمان بضرورة الولاء له والتعلق به ضرورات الإحساس بالمواطنة وما ترتب من حقوق والتزامات فكل ثقافة سياسية عليها أن تحدد النطاق العام المعقول للعمل السياسي والحدود المشروعة بين الحياة العامة والحياة الخاصة ويتضمن هذا النطاق تحديد الأفراد المسموح لهم بالمشاركة في العملية السياسية ووظائف المؤسسات السياسية كل على حدا كما تفرض الثقافة السياسية معرفة حدود المشاركة في هذا النظام مثل السن والجنس والمكانة الاجتماعية والوضع العائلي بالإضافة إلى أن بعض الثقافات السياسية تحرص على تحديد الأبنية والوظائف السياسية في الدولة وكذلك بهذه المنوطة بتحقيق الأهداف التي تحدها الدولة فالثقافة السياسية هي التي تدعم النظام وتحدد أطره.

ثانياً: المقومات

المقومات الأساسية للثقافة السياسية هي العناصر التالية:

- أ- التوجهات نحو النظام السياسي أي رأي تفاعل الفرد مع مؤسساته سلبياً أو إيجابياً ونظراته لأسلوب الحكم وسير عمله وقراراته.
- ب- التوجه نحو الآخرين في النظام السياسي أي رأي الفرد في اختلاف الآراء السياسية والصراع في الأحزاب والقوى المحركة للحياة السياسية.
- ت- التوجهات نحو النشاط السياسي الذي يقوم به الفرد ذاته رأيه في إسهامه في السياسة.

ويرى فيريرا وألموند أن مكونات الثقافة عناصر إدراكية هي المعرفة والعناصر العاطفية هي العواطف والتقييمية هي القيم، فالثقافة السياسية تؤثر في الحياة السياسية على النظام السياسي، لكن منظمات ومؤسسات المجتمع المدني بما فيها

الأحزاب، وجماعات الضغط الجمعيات الخيرية تعمل على تحريك وصياغة مواقف الجماهير انطلاقاً من المعطيات الثقافية السائدة في المجتمع وتسعى إلى تصعيد الوعي لدى جماهيرها أولاً ثم بلورته بشكل آراء ومواقف تنسجم مع اتجاهاتها وأهدافها السياسية ومن هنا يأتي ارتباطها بالتنشئة السياسية.

أنماط الثقافة السياسية:

يقسم غابرييل أوموند وسيدني فيربا ، بناء على درجة تطور المجتمعات كما عرفها ماكس فيبر في تقسيمه الثلاثي المعروف الثقافات السياسية إلى الأنواع الثلاثة التالية:

أ- الثقافة التقليدية: وتوجد في المجتمعات الضئيلة التطور ، وفيها تكون توجهات المواطن نحو المواضيع السياسية ضعيفة للغاية فهو لا يربط نفسه بأية طريقة ايجابية بالمؤسسات السياسية الوطنية، ولا إلى القضايا والسياسة الوطنية إذ يشعر بأنه غير مؤثر فيها، والواقع أن الثقافة القديمة ليست إلا وضعا لثقافات سياسية محلية قائمة على أساس القرية والأسرة والجماعة الأثنية والمنطقة وغير ذلك، أي لا توجد ثقافة وطنية أو قومية بالمعنى الدقيق للتعبير ومن ثم إذا كان الأفراد في مثل هذا النوع من المجتمعات لا يحفلون بالثقافة الوطنية، بسبب ضآلة تطور عناصر التلاحم والاندماج الاجتماعية، فإنهم منخرطون في الأمور السياسية المحلية أو العشائرية أو الإقليمية أو غيرها كما هو الحال في كثير من الدول التي استقلت حديثاً التي تضم مجتمعاتها مجموعات اجتماعية غير متجانسة فيما بينها ومع ذلك فإن مثل هذه المجموعات قد توجد في بعض الدول المتقدمة.

ب- ثقافة الخضوع: وفيها يكون المواطن واعياً على نحو قوي بالنظام السياسي وما يصدر عنه من أعمال قد يحبها المرء أو يكرهها ولكن ليس له إلا شعور ضئيل التطور بالمؤسسات التي تأخذ على عاتقها تحقيق المطالب الاجتماعية، وكذلك شعور مجرد بفعاليته السياسية شخصياً والواقع أن المؤسسات في ظل هذه الثقافة ضئيلة الاستجابة إزاء حاجات الأفراد، ولهذا السبب يطلق موريس دوفرليه تعبير ثقافة الخضوع على هذا النوع من الثقافة ، مع أنه يرى فيها شكلاً من أشكال الثقافة الوطنية ، وعلى حد قوله : "في ثقافة الخضوع يعرف أعضاء النظام بوجوده، ولكنهم يضلون سلبين إزائه فهو خارجي نوعاً ما بالنسبة إليهم ، وهم ينتظرون من جانبه أن يقدم لهم خدمات ويخشون عقوباته، ولكنهم لا يفكرون بأنهم يستطيعون تغيير عمليات النظام على نحو ملموس.

ج- الثقافة المشاركة: وفيها يكون المواطن على مستوى عالٍ من الوعي بالأمور السياسي ويقوم بدور فعال فيها ،ومن ثم يؤثر في النظام السياسي بطرق مختلفة كالمساهمة في الانتخابات أو المظاهرات، أو تقديم الاحتجاجات ،فضلاً عن ممارسة نشاط سياسي من خلال عضوية في حزب سياسي أو جماعة ضغط.

إن الأنواع الثلاثة المذكورة لا توجد بصورة خالصة ، وإنما متداخلة فيما بينها إذ أن الثقافة الجديدة لا تزح الثقافة القديمة كلياً لتحل مكانها وكل ثقافة سياسية تنطوي على عناصر من الأنواع الثلاثة للثقافة ، تتوزع حسب المستويات الثقافية والحضارية للسكان ، فيمكن أن نجد في دولة معينة فئة من الأفراد تتمسك بثقافة مساهمة سياسية، في حين أن الجماهير الريفية تبقى متعلقة بثقافة سياسية قديمة وفضلاً عن ذلك التوجهات السياسية لكل فرد تكون مركبة من عناصر تتوزع على الأنواع الثلاثة من الثقافة.

أنماط أخرى:

وضع باحثون آخرون تصنيفات مختلفة لأنماط الثقافة السياسية، مثل:

- التصنيف حسب النوع: الثقافة السياسية لدى الرجال، النساء، الشيوخ ... إلخ.
- التصنيف حسب الإقليم: الثقافة السياسية لدى سكان المدن، الريف، المناطق الداخلية ... إلخ.
- التصنيف الجيلي: الثقافة السياسية لدى الجيل القديم، الحالي .. إلخ.
- التصنيف حسب المكانة الاجتماعية: الثقافة السياسية لدى النخبة، العلماء، المثقفون، الأميون .. إلخ.